

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صحيح البخاري (١)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)} [آل عمران].

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} [النساء].

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [الأحزاب] أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد - ﷺ - وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اليوم بإذن الله ومشيعته نشرع في شرح (كتاب العلم) من صحيح

البخاري،

ولكن قبل البدء في الشرح لابد أن نعلم:

أن أنف العلوم الشرعية ومفاتيحها، ومشكاة الأدلة السمعية ومصابيحها، وعمدة المناهج اليقينية ورأسها، ومبنى الشرائع الإسلامية وأساسها، ومستند الروايات الفقهية كلها مأخوذة من علم الحديث، فعلم الحديث هو من أشرف العلوم وأعظمها ولما لا؟

- فالأحاديث الثابت أنها رُويت بأسانيد صحيحة عن رسول الله - ﷺ - هي أعظم الكلام الذي يمكن أن يُقرأ بعد كلام الله عز وجل فقد أوتي النبي - ﷺ - جوامع الكلم، وتفجرت منه ينابيع الحكم، لأنه لا ينطق عن الهوى، ولهذا فإن أعظم عمل يمكن أن يقوم به الإنسان هو الاهتمام بعلم الحديث خاصةً إذا كان الإنسان من المُشغَلين بمسائل الأحكام سواء أكان ممن هم في موضع من يسألهم الناس (يُفتي) أو مجرد شخص يريد معرفة أحكام دينه فلا بد أن يقرأ في هذه الأحاديث لأن فيها البركة والنور والخير الكثير يأتي من وراء الاهتمام أو الانشغال بعلم الحديث،

خاصة إذا أراد أن يحكم في مسألة أو يعلم الحكم الشرعي فيها، ونحن نعلم أن الأحكام الشرعية لابد أن يكون لها أدلة تتمثل في (الكتاب_السنة_الإجماع_القياس) وعلى ذلك يكون النظر في الكتاب والسنة حتى يصل إلى الحكم، فإذا لم يكن لديه معرفة بعلم الحديث وهل الحديث صحيح أو ضعيف فيمكن أن يبني الفقيه مسألة فقهية كاملة

وتكون خاطئة لأنه بناها على حديث ضعيف.

كما أن من عظمة هذا الدين أن قيّد الله له رجال يُنقّحون سنة النبي ﷺ فيميزون الصحيح من الضعيف والموضوع، وحين يعلم الشخص أن هذا الحديث صحيح فإنه يستطيع أن يبني عليه حكم شرعي صحيح، والعكس يمكن أن يؤدي إلى نتيجة غير صحيحة، ولهذا فإننا أحياناً نجد في كتب الفقه إمام وعلم ولكنه يأخذ بقول مرجوح، فيرد العلماء على هذا القول ويقولون أنه مرجوح، فما هو سبب رد قوله؟ السبب يرجع إلى أنه اعتمد على حديث ضعيف.

- ولهذا: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ رُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهِ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ) مسند أحمد (٢١٥٩٠).

وفي رواية الترمذي،

- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:

(نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاَهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ) سنن الترمذي (٢٦٥٨).

- هذا هو دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن يُبلغ عنه ولو لم يكن هناك فضل في البلاغ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحفظ الأحاديث الصحيحة وطلب علم الحديث بصورة عامة غير شرف دعاء النبي له لكفى به فضل (سماع_حفظ_بلاغ).

- **النضارة تعني:** البهجة والسرور،

وقد جمع الله عز وجل بينهما في قوله سبحانه: {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ
الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢)}
[الإنسان].

والنضرة تكون في الوجوه والسرور يكون في القلب

والمقصود به نعيم القلب والطيب والراحة النفسية
- يشعر الناس بالضيق والكآبة فالقلوب غير مستريحة وغير مستقرة فما
هو السبب؟ لأنهم لم يتناولوا الغذاء الذي خُلِقُوا من أجله ألا وهو غذاء
القلب حيث أنه يجب أن (يُملأ بالعلم النافع من الكتاب والسنة) فعند
تغذية القلب بأحاديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك يكون مع فتح
الكتب وحفظ الحديث بنية الإبلاغ عنه،
- عسى أن ننال دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنكون ممن نَضَرَ اللهُ
وجوههم وجعل السرور في قلوبهم نتيجة الإبلاغ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ.

قال تعالى: {تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤)} [المطففين].

- فأهل الجنة يظهر على وجوههم نضارة وسببها أو من ضمن أسبابها
أنهم كانوا في الدنيا من المُبلِغين حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فما هو فقه الحديث؟

- **أولاً:** دعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول الحديث لمن سمع حديثه فحفظه وقام بإبلاغه لغيره.

- **ثانياً:** وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ : كيف يكون هذا؟
مثال: حديث (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ).

أحد الأشخاص يتلقاه فيفهم منه إجمالاً أنه لابد أن يتبع السنة وأما ما لم يكن على هدي رسول الله فيجب أن يبتعد عنه، ولكن هذا الشخص قام بإبلاغه لشخص آخر، هذا الآخر تناول الحديث بمفهوم أوسع فظل يبحث ويحقق ليعلم ما هي السنة وما هي البدعة وأصبح لديه فقه أكبر وأوسع ممن قام بإبلاغه بالحديث، هذا هو معنى كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- **فما هو العائد على الشخص الأول من هذا الإبلاغ؟**
لقد أخذ أجر الحفظ ونال دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم أن كل شخص سمع منه وعمل بما سمعه فإنه يكون في ميزان حسناته إذا كان العمل خالصاً لله سبحانه.

- وهذا يعني: أن الإنسان لو حمل نفسه على الالتزام بآداب السنة (الكثير من الناس عندما نتكلم عن السنة يعتقد أن المقصود هو بعض الأمور المستحبة كالأذكار_ ولحق الأصابع بعد الأكل_ وهكذا) أي أنهم

يقول أبو العباس بن عطاء: مَنْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ آدَابَ السَّنَةِ غَمَرَ اللَّهُ قَلْبَهُ
بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله
وأخلاقه والتأدب بآدابه قولاً وفعلاً ونيةً وعقدًا.

يعرفون من السنة مجرد قشور فلا يعرفون عنها إلا عدة أحاديث وبعض الأعمال وانتهى الأمر،

أما الشيخ فإنه يقصد الالتزام بآداب السنة كلها (كيف كان في أخلاقه في أفعاله_ معاملاته_ أي التأدب بآداب السنة في القول والعمل والنية والاعتقاد).

- كيف نعمل على أن تكون النية صالحة في كل عمل؟ بالتأدب بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ).

فأتوقف عند الحديث وأبدأ في الحساب مع النفس، هل أنا قبل العمل استحضرت أن تكون النية فيه لله عز وجل وابتغاء مرضاته، وهل أريد أجر على هذا العمل؟

- فيكون الحال مع كل حديث أسمع على هذا النحو، ويكون الالتزام بكل سنة أن أصل إليها، فنعمل دائماً بما نعلم من سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويكون ذلك عن طريق البحث ومحاولة المعرفة والدراسة، وأعظم شيء يمكن أن نعرف به السيرة هو حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فالقراءة الكثيرة في جميع الأبواب (الأخلاق _ المعاملات _ العبادات) تؤدي إلى حفظ السنة ومن ثم يأتي الالتزام بها وهذا شرف عظيم لمن يعرف قدر ما يعمل.

قبل أن نبدأ في الكتاب لابد أن نعلم من هو كاتبه؟

● **المصنف رحمه الله هو: الإمام البخاري.**

أولاً: نسب الإمام البخاري.

هو أمير المؤمنين في الحديث، أبو عبد الله البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه.

بردزبه : لفظة بخارية تعني الزّراع، وكان بردزبه فارسياً على دين قومه ومات على المجوسية، وأسلم ابنه المغيرة على يد اليمان الجعفي والي بخارى، فنُسب إليه لأن الولاء يكون لمن أسلم على يديه، على مذهب أبي حنيفة في هذه المسألة وقد خالف فيها باقي الأئمة (مالك_الشافعي_أحمد) فسُمي على اسم الوالي وفاءً له.

ثانياً: مولده ونشأته.

ولد الإمام البخاري رحمه الله بعد صلاة الجمعة، لثلاثة عشر ليلة خلت من شهر شوال، سنة أربع وتسعين ومائة للهجرة ببلدة بخارى، مات أبوه وهو صغير فتربى يتيماً في حجر أمه فكفلته وأحسنّت تربيته.

- حدثنا محمد بن أحمد بن الفضل البلخي، سمعت أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك، أو كثرة دعائك شك البلخي فأصبحنا وقد رد الله عليه بصره.

- وهذا يعني: أن البخاري رحمه الله فقد بصره وهو في سن صغير فبكت الأم ودعت وتضرعت إلى الله عز وجل، إلى أن رد الله عليه بصره.

- وعلينا هنا أن ننتبه:

لأن البخاري فقد أباه وهو صغير فقامت الأم بمسئولية رعايته، وإذا ما نظرنا في سير السلف الصالح وأمّهات السلف فسنجد أنه كم من أم من أمّهات السلف قد ربت أبناء كانوا عمالقة في العلم والفهم.

● **ومثال:** لذلك أم سفيان الثوري (أمير المؤمنين في الحديث) وكانت أمه تغزل وتقول أكفيك بغزلي وقد كان لها وصايا مع ابنها وهو صغير فكانت تقول له:

أنت تكتب ولكن انظر وأنت تكتب هل زادك ما تكتبه علمًا أو ورعًا أو تأدبًا
فإن زدت في العلم والورع والتأدب فأكمل وإلا فلا، كان هذا هو فحو كلام الأم
التي تُعلم كيف يكون إخلاص النية، فإن كان هذا العلم يُبتغى به وجه الله
فلا بد أن تكون له علامات، فيزيد صاحبه في الأدب والعمل والورع فإن لم
يكن كذلك فاجلس مكانك ولا تُتعب نفسك فيما لا عائد منه.

وكم من طالب علم اليوم نجده يطلب العلم ولكنه ليس لله عز وجل،
فيذهب من معهد لمعهد وينتهي من دورة علمية ليدخل في أخرى،
ويحصل على إجازة في كذا وفي كذا، ويظل يلهث على طريق العلم
والشيطان يخدعه ويوقع به في مكائد ليس لها حصر، لأن كل هذا السعي
ليس لله بل قد يكون شهوة علم، حب ظهور، وتصدر المجالس.

فما هي علامة السير على الطريق المقبول؟

– **كما قالت أم سفيان:** هل العلم الذي يسعى صاحبه في تحصيله زاده
(ورعًا - تقوى - أدب - إتباع سنة النبي ﷺ) فإن كانت الإجابة بنعم
فانطلق وأكمل، أما إذا كان الأمر مجرد تحصيل علم بدون تقدم في
العمل، ولا أقصد بالتقدم أن يُصبح الشخص كامل الورع والتقوى ما بين

يوم وليلة، ولكن أن تكون هناك زيادة ولو بسيطة فيشعر أن هناك تغيير ولو ببطء،

لكن عدم التغيير بالكلية فإن هذا يعني أن العلم ليس لله.

هذا ضابط لمن يريد طلب العلم فيعرف به إن كان يطلب هذا العلم لله أم أن هناك شهوة خفية قد لا تظهر لكثير من طلبة العلم، فالشهوات الخفية لا تظهر (حب الرياسة_التصدر).

- **مثال آخر:** أم الإمام الأوزاعي (فقيه_عالم) والذي قال الإمام مالك فيه:

(ما يزال أهل الشام بخير ما بقي فيهم الأوزاعي).

- فكم من أم ربت وأخرجت من تحت يدها علماء وفقهاء ولم يكن معها رجل، أقول هذا كي نقف ونتهم أنفسنا لأننا اليوم نرى بعض الأخوات ممن فارقتها زوجها بموت أو بغيره تحتج بوحدتها وتتسبب في ضياع أبنائها، وضياع الرعية، نسأل الله أن يعفو عنا ولا يحاسبنا على ضياع أبنائنا.

◀ **الشاهد:** أن الإمام العلم الجبل الأشم شمس الأئمة في زمانه وسابق عصره وأوانه، الإمام الثبت الحافظ البخاري، هذا الرجل العظيم الشأن، الجليل القدر، الذي أخذ من القلوب مأخذها وجعل الناس تتعجب، فقد وقف أمامه العلماء قبل العوام تعجباً منه، هذا الرجل الذي ربه امرأة.

- **والد الإمام البخاري هو: (إسماعيل بن إبراهيم)** كان محدثًا مُقلًا فلم يكن كثير التحديث ولكنه كان مُنشغل بالعلم، وقد كان تاجرًا.

- **وقال إسحاق بن أحمد بن خلف سمعت البخاري يقول:** سمع أبي من مالك بن أنس، ورأى حمّاد بن زيد، وصافح ابن المبارك بقلتا يديه وهم أئمة أكابر ولكنه لم يكن له شهرة، ومع ذلك فقد يكون ببركة هذا الرجل الصالح نال هذا الولد كل هذا الخير والفضل.

- **عندما دخل أحمد بن حفص على والد البخاري (إسماعيل بن إبراهيم)** وهو حال الاحتضار فقال له إسماعيل:

تركت ألف ألف درهم لا أعلم في مالي درهم من حرام ولا من شبهة.

حوالي مليون درهم أي أنها ثروة كبيرة جدًا فقد كان كما قلنا تاجرًا إلى جانب اشتغاله بالحديث وقد كان طالب علم له مكانة نوعًا ما ولكن ليس لدرجة الشهرة، ثم ترك كل هذه الثروة الكبيرة لأبنائه (البخاري_أخيه)، وسنرى فيما بعد أن البخاري قد أنفقها بالكامل في طلب العلم.

- **إذن الأب كان صالحًا، وكذا الأم كانت صالحة بلا شك** فقد استطاعت أن تربيته وتدفعه وتعينه على حفظ القرآن في الصغر.

- قال محمد بن أبي حاتم: قلت لأبي عبد الله: كيف كان بدء أمرك؟ قال:

أُهِمَّتْ حِفْظُ الْحَدِيثِ وَأَنَا فِي الْكِتَابِ. فَقُلْتُ: كَمْ كَانَ سَنُكَ؟ فَقَالَ: عَشْرَ سَنِينَ، أَوْ أَقَلَّ. ثُمَّ خَرَجْتُ مِنَ الْكِتَابِ بَعْدَ الْعَشْرِ، فَجَعَلْتُ اخْتَلَفَ إِلَى الدَّاخِلِيِّ وَغَيْرِهِ، فَقَالَ يَوْمًا فِيمَا كَانَ يَقْرَأُ لِلنَّاسِ: سَفِيَانٌ عَنْ أَبِي الزَّيْبِرِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ أَبَا الزَّيْبِرِ لَمْ يَرَوْهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ. فَاَنْتَهَرَنِي، فَقُلْتُ لَهُ: ارْجِعْ إِلَى الْأَصْلِ. فَدَخَلَ فَنَظَرَ فِيهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ لِي: كَيْفَ هُوَ يَا غَلَامٌ؟ قُلْتُ: هُوَ الزَّيْبِرُ بْنُ عَدِيٍّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، فَأَخَذَ الْقَلَمَ مِنِّي، وَأَحْكَمَ كِتَابَهُ، وَقَالَ: صَدَقْتَ. فَقِيلَ لِلْبَخَارِيِّ: ابْنَ كَمْ كُنْتَ حِينَ رَدَدْتَ عَلَيْهِ؟ قَالَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً.

رد البخاري شيخه وهو في سن الحادية عشرة، وعندما انتهره شيخه كان بسبب أنه طفل صغير، ولكن إصرار البخاري على رأيه وقوة نفسه في الحق جعلت الشيخ ينظر في الكتاب مرة أخرى فوجد أن كلام البخاري صحيح وبالتالي عاد الشيخ عن قوله ولم يأخذه الكبر والاستعلاء عن أن يُصحح الخطأ الذي وقع فيه على الملأ، فكتب وأحكم الكتابة.

- نخلص من هذا:

بالوصول إلى مدى قوة نفس البخاري وقوة شخصيته الجميلة في الحق فلم يخف رغم أنه طفل لم يتجاوز الإحدى عشر عامًا ووقف أمام عالم جليل فهو واثق من حفظه.

- إلى جانب أن العالم هو الآخر لم يكن لديه كبر أو استعلاء فقد أخذ ممن هو دونه، وليس المقصود بمن هو دونه عالم أقل منه بل أنه أخذ من صبي لم يتجاوز الإحدى عشر عامًا.

يستكمل البخاري حديثه قائلاً:

فلما طعنت في ست عشرة سنة، كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أُمِّي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حجبت رجع أخي بها، وتخلفت في طلب الحديث.

أي أنه حين بلغ السادسة عشر كان قد حفظ كتب ابن المبارك ووكيع.

يقول البخاري:

فلما طعنت في ثماني عشرة سنة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاوليهم وذلك أيام عبيد الله بن موسى، وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر النبي ﷺ في الليالي المقمرة وقل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أنني كرهت أن يطول الكتاب .

كان رحمه الله يُصنف الكتب عند قبر النبي ﷺ على نور القمر، فكتب كتاب التاريخ، ومن المعلوم أن البخاري قام بتأليف كتب (كتاب التاريخ الكبير_الأوسط_الأصغر)، أما ما طُبِعَ من هؤلاء فهو الكبير والصغير، وقد تنازع العلماء هل المطبوع هو التاريخ الأوسط أم التاريخ الصغير؟

وعلى عكس مما يعتقد عوام المسلمين وطلاب العلم المبتدئين حين يُذكر البخاري أنه ليس له إلا كتاب الصحيح فقط في حين أن للبخاري مُصنفات كثيرة جدًا منها (خلق أفعال العباد_ الأدب المفرد_ التاريخ _ وأشهرها الصحيح _ وغيرها الكثير من الكتب) وقد ظل الإمام يجمع في الصحيح حوالي ستة عشر عامًا.

يقول أيضًا: وكنت أختلف إلى الفقهاء بمرور وأنا صبي فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم فقال لي مؤدب من أهلها كم كتبت اليوم فقلت اثنين وأردت بذلك حديثين فضحك من حضر المجلس فقال شيخٌ منهم لا تضحكوا فلعله يضحك منكم يومًا. وقد كان.

ثالثاً: سعة حفظه.

عندما بلغ الإمام سن السابعة عشر كانت جملة محفوظه سبعون ألف حديثاً عن ظهر قلب، فقد كان يحفظها بأسانيدھا الصحيحة فيذكر رواية الحديث إلى أن يصل إلى الصحابي ثم رسول الله ﷺ.

- وقال محمد بن أبي حاتم الوراق:

سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان : كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟ فقال لنا يوماً بعد ستة عشر يوماً: إنكما قد أكثرتما علي وألحمتما، فأعرضا علي ما كتبتما، فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديثاً، فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، ثم قال: أترون أنني أختلف هدرًا، وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

- وقال أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ:

سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث. فقلبوا متونها وأسانيدھا، فجعلوا متن هذا إسناد لهذا، وجعلوا إسناد هذا متن لذلك، ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس، فاجتمع الناس، وانتدب أحدهم، فسأل البخاري عن حديث من عشرته، فقال: لا أعرفه. وسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. وكذلك حتى فرغ من عشرته. فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: الرجل فهم.

ومن كان لا يدري قضى على البخاري بالعجز، ثم انتدب آخر، ففعل كما فعل الأول.

والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم الثالث وإلى تمام العشرة أنفس، وهو لا يزيدهم على: لا أعرفه.

فلما علم أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول فكذا، والثاني كذا، والثالث كذا إلى العشرة، فرد كل متن إلى إسناده. وفعل بالآخرين مثل ذلك.

فأقر له الناس بالحفظ. فكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكبش النطاح.

يقول الحافظ بن حجر تعليقاً على هذه القصة:

ما العجب من معرفة البخاري بالخطأ من الصواب في الأحاديث لاتساع معرفته. وإنما يتعجب منه في هذا لكونه حفظ موالاة الأحاديث على الخطأ من مرة واحدة.

أي أنه ليس العجب أن البخاري رد خطأ المائة حديث فالبخاري الذي كان سنه سبعة عشر عاماً ويحفظ سبعين ألف حديثاً فلا عجب أن يسرد مائة حديث ولكن العجب أنه كيف حفظ الخطأ على الترتيب الذي قاله الشيوخ مرة واحدة بترتيب الخطأ ثم يصححه، وإنما دل ذلك على سعة حفظه.

رابعاً: شدة ورع الإمام وصلاح حاله.

– ذكرنا فيما سبق أن والد البخاري قد ترك له ثروة طائلة (ألف ألف درهم كلها من الحلال الطيب) هذا الميراث المهول تمّ إنفاقه كله في طلب العلم حتى صار

فقيرًا فكان يأكل الحشيش، ولكن كيف استطاع البخاري أن يأكل الحشيش؟
شخص غني يملك الكثير من المال كيف لشخص كهذا يتحمل أن يعيش في
مستوى من الفقر يجعله يأكل الحشيش؟

لأن البخاري درس سيرة الصحابة وعلم أنهم أكلوا ورق الشجر من شدة الجوع
فكان يعمل بكل ما علم، علم أن الصحابة وصلت بهم درجة الفقر إلى أكل ورق
الشجر والحشيش وبالتالي فلا إشكال عنده من أن يفعل كما فعلوا، وهذا من
باب العمل بما علم فأعطاه الله ما لم يعلم، وقد كان هذا مما يتصف به البخاري
رحمه الله حيث أنه كان دائمًا يعمل بما علم على أكمل وجه.

ورعه في حفظ مال الآخرين:

روى محمد بن حاتم الورّاق عن الإمام قال: ركبنا يوما إلى الرمي ، ونحن بفرير،
فخرجنا إلى الدرب الذي يؤدي إلى الفرص . فجعلنا نرمي، وأصاب سهم أبي
عبد الله وتد القنطرة الذي على نهر واردة، فانشق الوتد.

فلما رآه أبو عبد الله ، نزل عن دابته، فأخرج السهم من الوتد، وترك الرمي.
وقال لنا: ارجعوا.

ورجعنا معه إلى المنزل، فقال لي: يا أبا جعفر، لي إليك حاجة تقضيها؟

قلت: أمرك طاعة.

قال: حاجة مهمة، وهو يتنفس الصعداء. فقال لمن معنا: اذهبوا مع أبي جعفر حتى تعينوه على ما سألته، فقلت: أية حاجة هي؟ قال لي: تضمن قضاءها؟ قلت: نعم، على الرأس والعين، قال: ينبغي أن تصير إلى صاحب القنطرة، فتقول له: إنا قد أخللنا بالوتد، فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله، أو تأخذ ثمنه وتجعلنا في حل مما كان منا، وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر الفريري.

فقال لي: أبلغ أبا عبد الله السلام، وقل له: أنت في حل مما كان منك.

وقال: جميع ملكي لك الفداء. وإن قلت: نفسي، أكون قد كذبت، غير أنني لم أكن أحب أن تحتشمني في وتد أو في ملكي. فأبلغته رسالته، فتهلل وجهه، واستنار، وأظهر سرورا، وقرأ في ذلك اليوم على الغرباء نحواً من خمسمائة حديث، وتصدق بثلاثمائة درهم.

ولنا هنا وقفة: فالكثير من الناس اليوم يأكلون أموال بعضهم بالباطل وهم يعلمون أنهم يأكلون الحرام ومع ذلك لا إشكال عندهم، فيكون قائم على أموال الناس إلا أنه يأكلها ولا يخاف من الحرام الذي يُدخله في جوفه وعلى أولاده، قائم على أموال مسجد أو دار أيتام ولكنه يأكل الأموال، شخص يتلف أشياء تخص آخر ثم يُنكر أنه فعل، والاقتراض وعدم رد المال لأصحابه، والحديث لإي أكل أموال الناس بالباطل يطول، حيث يندرج تحته أمور كثيرة وأمثلة يصعب حصرها أو استيفائها.

سهم البخاري عندما أصاب القنطرة لم يكن صاحبها موجود، وكان من السهل أن يُبرر لنفسه الخطأ لأن الأمر جاء بغير قصد،

فلو فعل هذا ما أصبح البخاري، هؤلاء العمالقة لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه بطريقة عفوية، فلا أنساب بينهم وبين الله فالكل عبيد لله سبحانه وتعالى، السهم دخل القنطرة فأقام الدنيا ولم يُقعدّها حتى تحلل من الرجل.

مثال آخر لورعه:

قال وسمعه يقول لأبي معشر الضرير:

اجعني في حل يا أبا معشر، فقال: من أي شيء؟

قال: رويت يوما حديثا، فنظرت إليك، وقد أعجبت به، وأنت تحرك رأسك ويدك، فتبسمت من ذلك. قال: أنت في حل، رحمك الله يا أبا عبد الله.

هل استشعرتم مدى الورع؟

البخاري كان جالسا يروي حديثا فأعجب به هذا الرجل وحرك رأسه ويده فنظر إليه البخاري وتبسم، فاعتبر البخاري هذا نوع من أنواع السخرية أو الاستهزاء فذهب إليه وطلب منه أن يُسامحه على هذا فقال له الرجل أنت في حل يا أبا عبد الله، رحم الله الأمام البخاري.

وقال بكر بن منير: سمعت أبا عبد الله البخاري يقول : أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا.

وهذه هي المؤلمة: إنه يود أن يلقى الله ولم يغتبت أحدًا، هذه المقولة ليست مجرد أمنية (فالكل يتمنى أن يلقى الله ولا يكون قد اغتاب أحدًا، هذه أمني ومجرد كلام فأين هذا من واقع حياة كل مُتمني) لكن الإمام رحمه الله كان يعمل فكانت أمنياته واقع يسير عليه.

قال الإمام الذهبي مُعقَّبًا :

صدق رحمه الله، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضعفه، فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا.

وقل أن يقول: فلان كذاب، أو كان يضع الحديث. حتى إنه قال: إذا قلت فلان في حديثه نظر، فهو متهم واه.

وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبت أحدًا.

وفي علم الجرح والتعديل إذا قال العالم عن أحد راوة الحديث أنه كذاب أو غير ذلك فإنه لا يُعد غيبة مُطلقًا، فهذا من الأمور المعروفة عند العلماء لأنهم يُدبُّون عن حديث رسول الله ﷺ، وعندما يكون هناك شخص كذاب أفاق يريد أن يُدخل في السنة ما ليس منها فلا مانع إطلاقًا من أن يقول إمام الجرح أن هذا الشخص كذاب لأنه يُنبه على كذبه.

_ لكن الإمام قلَّ أن يقول عن أحد أنه كذاب، ثم بدأ الإمام البخاري يكشف عن مذهبه حتى لا يعتقد الناس عند قوله (أن فلان فيه نظر) أن هذا أمر بسيط، وحتى لا يحتج بعض الناس مع مرور الزمن بكلام الإمام، فبين أن معنى كلمة (فيه نظر تعني أنه متهم واه) وهذه هي درجة الورع التي وصل إليها الإمام رحمه الله تعالى ورضي عنه

_الإمام رحمه الله كان يتمتع بالورع في كل باب:

وقال محمد بن أبي حاتم : سمعت الحسين بن محمد السمرقندي يقول : كان محمد بن إسماعيل مخصوصًا بثلاث خصال مع ما كان فيه من الخصال المحمودة : كان قليل الكلام ، وكان لا يطمع فيما عند الناس ، وكان لا يشتغل بأمور الناس ، كل شغله كان في العلم

_أراد الحسين بن محمد السمرقندي أن يتحدث عن البخاري فقال: إن له من الخصال المحمودة الكثير، ثم ذكر ثلاث خصال:

١_ قليل الكلام : عمل بحديث رسول الله ﷺ

* قَالَ كَتَبَ مُعَاوِيَةُ، إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنْ اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ "مسند أحمد(١٨١٧٩)، صحيح ابن حبان(٥٧٢٠)

_الكلام الكثير يؤدي إلى الوقوع في الخطأ، وقد أمرنا النبي ﷺ أيضًا أن نقول الخير أو نصمت

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» أخرجه البخاري (٦٠١٨)، أخرجه مسلم (٤٧)

فأي كلام إذا لم يُذكر فيه الله عز وجل أو أمر بالمعروف ونهي عن منكر فلا بد أن يقع فيه خطأ وإن كان من الكلام المباح، وليس معنى ذلك أن لا نتكلم ولكن المقصود هو الإقلال من الكلام حتى تقل نسبة الغلط ، لقد كان هذا هو صنيع البخاري وحاله مع نفسه

٢_ لا يطمع فيما عند الناس، كان لا يشتغل بأمر الناس

كان الإمام لا ينظر إلى ما عند الناس ولا إلى أحوالهم، فليس له شأن بفلان هذا ماذا يفعل أو ما الذي يملكه، لم تكن الدنيا تعنيه إلى درجة أنه كان غنياً فانفق كل ماله في رحلة طلبه للعلم وبالرغم من ذلك وبعد أن صار فقيراً لم ينظر إلى أصحاب الأموال ويندم على أنه أصبح على هذا الحال

٣_ كل شغله كان في العلم :

فكان شغله الشاغل هو العلم فقط دون أي شيء آخر

_درجة ورع تعجب معها العقول

قال محمد بن أبي حاتم : دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه ، فلما صلى بالقوم الظهر ، قام يتطوع ، فلما فرغ من صلاته ، رفع ذيل قميصه ، فقال لبعض من معه : انظر هل ترى قميصي شيئاً ؟ فإذا زبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً . وقد تورم من ذلك جسده . فقال له بعض القوم : كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أبرك ؟ قال : كنت في سورة، فأحببت أن أتمها

_لقد صلى البخاري بالناس الظهر ثم وقف ليصلي السنة فأطال الصلاة
وحين انتهى منها طلب من أحد الموجودين أن ينظر تحت قميصه ليرى
ما الذي يؤلمه فوجد الرجل زنبور (حشرة لها لسعة قوية مثل النحل) وقد
نالت منه في ستة عشر أو سبعة عشر موضعًا فتورم جسده، فقيل له
لماذا لم تخرج من الصلاة عند أول مرة لسعتك فيها، فقال : كنت في
صورة فأحببت أن أتمها.

_هذا هو حاله في النافلة فما بالناس بصلاته في الفريضة وكذا في قيام
الليل كيف كان يصنع

***ثناء العلماء على الإمام**

*** قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم :** سمعت بعض أصحابي يقول: كنت
عند محمد بن سلام ، فدخل عليه محمد بن إسماعيل ، فلما خرج قال محمد بن
سلام : كلما دخل علي هذا الصبي تحيرت ، وألبس علي أمر الحديث
وغيره . ولا أزال خائفًا ما لم يخرج

_ يقول أحد علماء الحديث :أنه كلما دخل عليه هذا الصبي (فقد كان
صغيرًا)كنت أظل خائفًا إلى أن يخرج لأن يخشى أن يُخطأ في الحديث
ويحدث له نوع من الارتباك فيقوم هذا الصبي بتصحيح الخطأ

*** وقال أبو جعفر :** سمعت يحيى بن جعفر يقول : لو قدرت أن أزيد في
عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت ، فإن موتي يكون موت رجل
واحد ، وموته ذهاب العلم.

*** وقال :** سمعت صالح بن مسمار المروزي يقول : سمعت نعيم بن
حماد يقول : محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة

_علينا أن ننتبه : لأن الشيخ إذا أثنى على أحد طلابه فإن هذا يكون أمر عظيم فهو يعني أن هذا الطالب بلغ من العلم مبلغه، عكس ثناء الطالب على شيخه فهذا الأخير من المنتظر أن يحدث فهو أمر عادي،

*** محنة الإمام البخاري رحمه الله (الأولى) :**

_ قال الحاكم أبو عبد الله : سمعت محمد بن حامد البزاز قال :

سمعت الحسن بن محمد بن جابر يقول : سمعت محمد بن يحيى قال لنا لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور : اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه . فذهب الناس إليه ، وأقبلوا على السماع منه ، حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى ، فحسده بعد ذلك ، وتكلم فيه
_وتلك كانت بداية التربص للإمام البخاري، سبحان الله تلك هي النفوس والقلوب التي تتقلب من النقيض إلى النقيض، لقد أمر محمد بن يحيى الناس أن يذهبوا إلى مجلس البخاري ليسمعوا منه فلما ذهبوا ليسمعوا بدأ عدد الحاضرين في مجلس محمد بن يحيى يقل فحصلت الغيرة والحسد وبدأ يتكلم فيه مع من تكلموا فيه،

*** وقال أبو أحمد بن عدي :** ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل لما ورد نيسابور اجتمع الناس عليه ، حسده بعض من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور لما رأوا إقبال الناس إليه ، واجتماعهم عليه ، فقال لأصحاب الحديث : إن محمد بن إسماعيل يقول : اللفظ بالقرآن مخلوق ، فامتنعوا في المجلس . فلما حضر الناس مجلس البخاري ، قام إليه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله ، ما تقول في اللفظ بالقرآن ، مخلوق هو أم غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخاري ولم

يجبه . فقال الرجل : يا أبا عبد الله ، فأعاد عليه القول ، فأعرض عنه .
ثم قال في الثالثة ، فالتفت إليه البخاري ، وقال : القرآن كلام الله غير
مخلوق ، وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة . فشغب الرجل ، وشغب
الناس ، وتفرقوا عنه . وقعد البخاري في منزله

_ كانت هذه هي أول محنة يتعرض لها الإمام حيث بدأت بغيرة المشايخ
منه نظرًا لاجتماع الناس حوله، وقد كان العلماء يعلمون أن البخاري
يقول: أن القرآن كلام الله ولكن اللفظ بالقرآن مخلوق، وهذا تفصيل من
الإمام للمسألة،

_محنة خلق القرآن التي تعرض لها الإمام أحمد

حيث أراد ولاية الأمر آنذاك أن يقر الإمام أحمد بأن القرآن مخلوق وأصر
الإمام على عدم الإقرار بذلك وقال: أن القرآن كلام الله غير مخلوق ومن
قال القرآن مخلوق فهو كافر ومن قال اللفظ بالقرآن مخلوق فهو كافر،
كان الإمام أحمد يُكفر كل من تكلم في هذه المسألة

_أما الإمام البخاري:

فقد أراد أن يُبين للناس المسألة بصورة أكثر تفصيلاً
_ فقال : نعم القرآن كلام الله غير مخلوق ولكن العبد عندما ينطق بهذا
الكلام يكون بصوت وهذا الصوت مخلوق (الشفتان_اللسان_الصوت) كل
هذا مخلوق

_أما العلماء فكانوا مدركين لما يقصده البخاري ولكنهم أدخلوا المسائل
في بعضها لتكون مصدر اتهام للإمام، فاجتمعوا عليه ليُكفروه
* **قال البخاري** : حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة . فأما
القرآن المتلو ، المبين المثبت في المصاحف ، المسور المكتوب ،

الموعى في القلوب ، فهو كلام الله ليس بمخلوق . قال الله تعالى : بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم .

ـورغم كل هذا أصر العلماء على الاتهام وصُغِب عليه الأمر جدًا فأحس بضيق شديد جدًا، لأنه إمام من أئمة أهل السنة فهو الذي أمضى عمره كله من صغره إلى هذا السن وهو يُنافح عن سنة رسول الله ﷺ ويدفع عنها ما ليس فيها، فهو وهو يفعل ذلك يتكلم في القرآن؟

****المحنة الثانية وكانت مع أمير بخارى**

ـ وقال الحاكم :سمعت محمد بن العباس الضبي يقول : سمعت أبا بكر بن أبي عمرو الحافظ البخاري يقول : كان سبب منافرة أبي عبد الله أن خالد بن أحمد الذهلي الأمير خليفة الطاهرية ببخارى سأل أن يحضر منزله ، فيقرأ " الجامع " و " التاريخ " على أولاده ، فامتنع عن الحضور عنده ، فراسله بأن يعقد مجلسا لأولاده ، لا يحضره غيرهم ، فامتنع ، وقال : لا أخص أحدا . فاستعان الأمير بحريث بن أبي الوراق وغيره ، حتى تكلموا في مذهبه ، ونفاه عن البلد ، فدعا عليهم ، فلم يأت إلا شهر حتى ورد أمر الطاهرية ، بأن ينادى على خالد في البلد ، فنودي عليه على أتان . وأما حريث ، فإنه ابتلي بأهله ، فرأى فيها ما يجل عن الوصف . وأما فلان ، فابتلي بأولاده ، وأراه الله فيهم البلاء.

ـ هؤلاء افتروا على هذا الإمام العلم ولي الله فاستجاب الله لدعائه حين دعا عليهم وانتقم الله منهم

ـ انتبهوا :

فإياكم ثم إياكم أن تقتربوا من شخص يكون له عند الله مكانة
قال تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣){[يونس]}

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: **مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ " **أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ (٦٥٠٢)**

_الحرب تأتي مباشرة من الله عز وجل، فإياكم أن تخوضوا في عرض شيخ أو أحدًا من أهل الفضل أو ممن يُظن أنه فيه خير، لأن العقاب يكون في الدنيا قبل الآخرة، فاحذروا من الخوض مع الخائضين

_لِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : لَحِمَ الْعُلَمَاءِ مَرَّ

_لأن الله سبحانه قد يمكر بهذا المتكلم فيتركه سنين وسنين ثم يبتليه بابتلاء شديد وهو لا يدري لماذا صُب عليه هذا البلاء ولكنه إذا راجع نفسه فإنه سيعلم أنه في يوم من الأيام قد نال بلسانه شيخ من المشايخ فجاءه العقاب،

*** وفاة الإمام البخاري:**

. ولما اشتدت المحنة على الإمام ضاقت عليه الأرض بما رحبت

كما روي عنه: قال ابن عدي : سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول : جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتك - " قرية " على فرسخين من سمرقند - وكان له بها أقرباء ، فنزل عندهم ، فسمعت ليلة

يدعو ، وقد فرغ من صلاة الليل : اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما
رحبت ، فاقبضني إليك ، فما تم الشهر حتى مات . وقبره بخرتنك .

***فما هو الباعث الذي دفع البخاري ليقوم بتصنيف الصحيح**

-يقول الحافظ بن حجر : آثار النبي ﷺ لم تكن معروفة في عهد
الصحابة والتابعين لأنها لم تكن مدونة لسببين :-

١_كان النبي ﷺ في ابتداء الأمر ينهاهم عن الكتابة كما ثبت في صحيح
مسلم خشية أن يختلط الكلام بالقرآن ثم بعد ذلك أذن لهم

٢_سعة حفظ الصحابة وقوة ذاكرتهم جعلتهم لا يحتاجون للكتابة، نعم
ثبت أنهم كانوا يكتبون ولكن ليس كل شيء ، أما تدوين علم الحديث فقد
تمّ في آخر عصر التابعين(تدوين الآثار_تبويب الأخبار)نظرًا لما انتشر
في الأمصار كما قال الحافظ بن حجر من كثرة الابتداع وكلام الخوارج
ومنكري الأقدار، فبدأ العلماء يُشَمِّرون عن سواعدهم ويُصنفون الكتب
والمصنفات ويجمعون أحاديث رسول الله ﷺ، وجاء عهد البخاري فنظر
في هذه التصانيف فوجد أن منها الصحيح ومنها الضعيف فاستعان بالله
وعزم على أن يقوم بهذا بعمل الجامع الصحيح

*** والسبب في ذلك أيضًا كما ورد في سير أعلام النبلاء**

عن الإمام البخاري: كنت عند إسحاق بن راهويه ، فقال بعض أصحابنا :

لو جمعت كتابا مختصرا لسنن النبي ﷺ - ، فوقع ذلك في قلبي ،

فأخذت في جمع هذا الكتاب . . (سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٤٠٢)

*وفي مثل هذا قال النبي ﷺ

عَنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا

بَلَغَتْ، يَكْتُئِبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ

لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُئِبُ

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» قَالَ: فَكَانَ عَلْقَمَةُ يَقُولُ:

«كَمْ مِنْ كَلَامٍ قَدْ مَنَعَنِيهِ حَدِيثُ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ» **مسند أحمد (١٥٨٥٢)**، المستدرك

على الصحيحين للحاكم (١٤١)

_جمع صحيح البخاري في ستة عشر عامًا من العمل في ميزان إسحاق

بن راهويه لكلمة قالها فوقعت في نفس البخاري وكانت الباعث والملمهم

لهذا العمل العظيم

_انظروا إلى العائد من وراء مجالسة الصالحين

فالأخيار الأطهار أصحاب القلوب السليمة عند الاختلاط بهم فإن الخير

يأتي من قبلهم، فقد قيلت كلمة في مجلس وكانت سببًا في جمع صحيح

البخاري الذي ظل ستة عشر عامًا يجمع فيه ونسأل الله أن تكون في

ميزان حسنات قائلها لأنها قيلت بإخلاص والله أعلم بذلك ولكنها وقعت

في قلب البخاري، والكلام عندما يقال بإخلاص فإنه يمس القلب، إذا كان

القلب المتلقي هو الآخر مخلص وهنا نجد أنه حتمًا سيتغير

ـ روي أيضا عن البخاري أنه رأى النبي ﷺ في المنام وكان من أسباب جمعه للصحيح

. **فمن محمد بن سليم بن فارس قال** سمعت البخاري يقول: "رأيت النبي ﷺ وكأني واقف بين يديه ويدي مروحة أذب بها عنه، فسألت بعض المعبرين فقال لي: "أنت تذب عنه الكذب فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح".

ـ وهذا أيضًا من الأسباب التي حملت البخاري على القيام بهذا العمل، لأته عندما رأى هذه الرؤيا سأل عن من يعبرها له ونحن نعلم أن التعبير لا يقوم به أي شخص، فرغم أنه الإمام إلا أنه لم يُفسر لنفسه الرؤيا ولكنه ذهب لمن هو أهل لذلك

* **وقال البخاري:** ما وضعت في كتابي " الصحيح " حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين .

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق : رأيت النبي ﷺ - في النوم ، كأنه يمشي ، ومحمد بن إسماعيل يمشي خلفه ، فكلما رفع النبي ﷺ - قدمه ، وضع محمد بن إسماعيل قدمه في المكان الذي رفع النبي ﷺ - قدمه .

أي أنه كان يقتفي أثر النبي ﷺ في كل صغيرة وكبيرة

**** استكمالاً لثناء العلماء عليه رحمه الله**

يصعب الحديث عن ثناء العلماء عليه لأنها جزئية يصعب حصرها حيث أن عدد من أثنوا عليه كان بالمئات من العلماء الأكابر منهم

يقول الإمام النسائي: (هذا الكتاب من أجود ما كتب البخاري) ،

والنسائي لا يعني بالجودة إلا جودة الأسانيد، كما هو المتبادر إلى الفهم وأصحاب الحديث يفهمون ذلك.

. وقال ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى، " وأما كتابه الجامع الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله .

. وقال النووي : في مقدمة شرحه لصحيح مسلم: " اتفق العلماء - رحمهم الله - على أن أصح الكتب بعد الكتاب العزيز الصحيح أن البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلما كان ممن يستفيد من البخاري و يعترف بأنه ليس له نظير في علما لحديث "

. شروح صحيح البخاري :

ومن بركة هذا الكتاب أن هناك جملة من العلماء قد قاموا بشرح هذا الصحيح، ولكن كان أشهرهم على الإطلاق :

_ فتح الباري في شرح صحيح البخاري (ابن حجر العسقلاني).
_ فتح الباري في شرح صحيح البخاري (ابن رجب) ولم يكمله لموته رحمه الله .

_ شرح صحيح البخاري (ابن بطل).
_ عمدة القاري (بدر الدين العيني).
_ التوضيح لشرح الجامع الصحيح (ابن الملتن) ستة وثلاثون مجلد .
_ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (القسطلاني) وهو عبارة عن تلخيص لشرح بن حجر وشرح بدر الدين العيني .
_ الكواكب الدراري لشرح البخاري (الكرمانى)، وهناك شروح أخرى كثيرة لصحيح البخاري وهذه بعض منها.

**** بداية الكتاب :.**

الإمام البخاري افتتح كتابه بالبسملة (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، وهذا افتتاح مناسب جداً وموافق لافتتاحيات وبدايات الأعمال، ونحن نعرف أن أول ما نزل من القرآن (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) فكان افتتاحه (بسم الله)، وكذلك في رسالة (سليمان عليه السلام) في رسالته إلى ملكة سبأ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [النمل]،

وكذلك رسالة النبي ﷺ إلى هرقل ملك الروم وفيها (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)
من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم) _وفي صلح الحديبية
قال لعلي اكتب (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، وغير ذلك من الإتيان بالبسملة
عند الذبح وعند الطعام وعند النوم وعند بدء الأعمال ولهذا ابتدأ البخاري
رحمه الله كتابه بهذا الابتداء .

**** ترتيب الكتاب :**

لقد رُتب الكتاب ترتيبًا عظيمًا يحتاج إلى وقفة،
الإمام جعل الكتاب أبوابًا وبدأه بكتاب (بدأ الوحي) ثم أعقبه بكتاب
(الإيمان) وكأنه أراد أن يقول :أن بدأ الوحي هو أول شيء ثم يأتي
الإيمان بما جاء به الوحي ثم كتاب (العلم) والذي نحن بصدد الحديث عنه
_فيكون مقصوده هو:بدأ الوحي يعني بداية الشريعة، ثم الإيمان فلا بد أن
نؤمن بما جاء به الوحي وحتى نؤمن بالوحي فعلينا أن يكون لدينا العلم
وإلا فمن أين لنا أن نعلم بما أمرنا به الوحي ، ثم بدأ يذكر الأبواب
الفقهية (الوضوء_الغسل_الحيض_التيمم_الصلاة) ثم ضرب بسهم في كل
أبواب الشريعة حتى أنه لم يترك شيء إلا وقد بوب فيه بابًا بأحاديث
صحيحة صريحة عن رسول الله ﷺ، وصحيح البخاري يحمل بين طياته
حوالي سبعة آلاف وخمسمائة وثلاثة وتسعون حديثًا، منها الأحاديث
المعلقة، ومنها المتكررة

****كتاب العلم : (باب فضل العلم)**

يعلم الإمام أهمية العلم ولذلك بدأ ببيان فضل هذا الأمر،

قال المصنف رحمه الله:ـ

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) } [المجادلة]
ـفبدأ بالآية حتى يُبين بها فضل العلم، فأهله فيه درجات

يقول الشوكاني: أنه بالعلم سترفع درجات، درجات في الإيمان ودرجات في التقوى، فالإنسان بالعلم (علم القرآن والسنة و علم الشريعة) يرفعه الله درجات، فيجعل له حسن ذكر في الدنيا والآخرة، وسيكون له منزلة أخرى وفضل، وكثرة ثواب تحصل من فتح الكتب والمذاكرة وتحصيل العلم وحفظ الأحاديث وشرحها أو قراءة التفسير لأنه في كل هذه المواضع عبادة،

ـ وقد عرف شيخ الإسلام العباداة بقوله: هي اسم جامعة لكل ما يحبه

الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة،
فكل عمل يحبه الله ويرضاه هو عبادة، ومن أفضل الأعمال التي يحبها الله العلم لماذا؟ لأنه أمر النبي ﷺ أن يقول : {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه]
فبالعلم ستكون الصلاة صحيحة والصوم صحيح وبه نعرف كيف نعبد الله على الوجه الصحيح، وبالعلم نترك البدعة ونتبع السنة ، وبالعلم نخاف الله ونحقق أعمال القلوب من التوكل واليقين والإنابة والمحبة وغيرها، وبالعلم نعرف كيف تُقام حياة زوجية يتقي فيها كل طرف من الطرفين

الله في الطرف الآخر، وبه نعرف كيف نصل الأرحام، وبالعلم نعرف أن
نؤدي حق الله في الصلاة والزكاة والصوم على الوجه الذي يُرضيه،
وبالعلم نستطيع تمييز أعمالنا وأقوالنا وأعمال قلوبنا، وبالعلم نستطيع
اكتشاف أمراض قلوبنا وعلاجها، لذلك علم الله نبيه ﷺ وأمره أن يقول
(وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) ، بالعلم كل الأمور ستتضح للعبد وسيأتيه كل
الخير، وبغير علم سنقع في طامات وطامات وما سقط أحد في شهوة ولا
في شبهة إلا بضعف العلم وقلة البصيرة، فالعلم من أعظم ما يكون،
فحريٌّ بكل إنسان أن يحاول أن يطلب العلم النافع ما استطاع، وأثناء
طلب العلم عليه أن يسأل الله أن يكون علماً نافعاً،
_أي: أن يكون علماً يحمل على العمل وعلى الورع والتقوى وعلى سؤال
النفس والمحاسبة والمراقبة في كل قول وعمل ،
_هذه نبذة بسيطة ومختصرة ومقدمة لشرح صحيح البخاري ، وما أعطينا
البخاري حقه مطلقاً، فهذا مختصر المختصر ، فإذا أردنا أن نتكلم عن
البخاري فالمسألة تطول، فأسأل الله أن تكون نبذة مختصرة سريعة نعلم
بها من هو هذا الإمام الجبل العلم، وحتى إذا تكلم فيه أحد، أو طعن فيه
نعلم مدى جهله فهو إما حاقداً أو جاهلاً، وما من أحد عنده علم أو خلق
أو حتى قليل من العلم إلا وعلم من هو البخاري رحمه الله .
وإن شاء الله في المرة القادمة نُكمل بداية كتاب العلم ، أسأل الله سبحانه
وتعالى أن يتجاوز عن أخطأنا وعن سيئاتنا وأن ينفعنا بما نقول وبما
ندعو إليه

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

